The Role of American Think Tanks in War resolution on Iraq

Lec. Qais Nasir Rahai
Basrah and Arab Gulf Studies Center
University of Basrah

Abstract:

The paper aims to study the role of members in the Project For New American Century (P.N.A.C) in war resolution on Iraq. Anyone who has followed this decision finds that it was not making only by the president or by the Ministry of Foreign , or the Ministry of Defense, or National Security Council, but also was made by members of (P.N.A.C).

Perhaps, the most distinctive characteristic of the war resolution on Iraq was being adopted devices of deception discourse. This is obvious to analysts who their analyzes based on foundations of philosophy. Whoever is looking for archiving discourse from a different perspective, will find that the use Iraq's possession of weapons of mass destruction is not real since they know well there is not such weapons. But they used deceive the public that entails to employ such information because the neo-conservatives have relied on the opinions of the philosopher Leo Strauss, which permits a philosopher to lie, that reason to because the facts can not tolerate by the public, so facts must be hidden .

دور مراكز البحث الأمريكية في قرار الحرب على العراق

م. قيس ناصر راهي
مركز دراسات البصرة والخليج العربي/جامعة البصرة

الملخص:

ان البحث يهدف لدراسة دور اعضاء مركز Project For New American Century(P.N.A.C) في قرار الحرب على العراق . ان المتتبع لهذا القرار يجد انه لم يكن من صنع الرئيس او وزارة الخارجية، أو وزارة الدفاع، ومجلس الامن القومي فحسب، بل كذلك من صنع اولئك الباحثين الشتراوسيين او المحافظين الجدد .

لعل ابرز ما يميز قرار الحرب على العراق اعتماده على خطاب ادوات الخداع، وهذا واضح لمن يعتمد التحليل على وفق مرتكزات فلسفية، فالذي يبحث عن ارشفة للخطاب من منظور مغاير لما هو سائد من تبسيط، سيجد ان مسألة استخدام اسلحة الدمار الشامل لا يمتلكها العراق وهم يعرفون ذلك واكدوه بعد احتلال العراق، لكن خداع الجمهور يتطلب توظيف مثل هكذا معلومات، وذلك لأن المحافظين الجدد قد اعتمدوا على اراء الفيلسوف ليو شتراوس الذي يبيح لفيلسوف الملك ان يكذب، ولأن الحقائق لا يستطيع الجمهور تحملها، لهذا يفترض اخفاؤها.

المقدمة:

يُقال إن الأفكار هي التي تحكم العالم، فبدون رؤية لا يمكن تقديم حلول للمشاكل المُعاشة، فمن هم رؤساء الدول او الوزراء الذين لا يحتاجون أن يتغذوا بالا فكار والتحليلات والاقتراحات من اجل إدارة الأزمات؟ إذ أن المسؤولين لا يمتلكون المؤهلات الكافية لمعرفة اغلب الموضوعات، ولا الوقت الكافي للتفكير – هنا الحديث عن الدول التي هي داخل التاريخ– ، فضلا عن، ان ممارسة السلطة والتتابع السريع للاستحقاقات السياسية لا تسهل اتخاذ القرارات، لكن ذلك لا يجعلهم في حلٍ من عدم استشارة من هو متفرغ للبحث، وهذا ما يظهر جليا في اشتغال اصحاب المعرفة مع رجالات السلطة في الولايات المتحدة الاميركية، اذ يُرى مجموعة من الباحثين والحاصلين على الشهادات ذوي الاختصاصات المختلفة مثل علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون....الخ يقومون بإعداد المقترحات المهمة، وذلك شرط ان يكون لديهم حرية التفكير في زمن يكفي، ولا تنتج دراسة بشكل طارئ أي يكون هناك تريث عند تسارع الاحداث.

اليوم، ان عمل المستشار يتمثل في مراكز البحث الذين عادة ما يميلون الى التزام قضية سياسية او اقتصادية بدلا عن النظر الى المصلحة العامة، وهذا ما يتمثل في الولايات المتحدة الامريكية مع مركز المشروع الاميركي لقرن جديد Project For New American P.N.A.C Century، والذي ربما يكون المركز الوحيد في التاريخ الذي يفخر بأنه اخذ بلاده الى الحرب.

ليس هناك نوع من المبالغة اذا قيل ان الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ هي ثمرة أفكار أعضاء هذا المركز، فهم صانعو مشروع القرن الأميركي الجديد الذين لم يجدوا لهم اذاناً صاغية في زمن كلينتون، لكن بعد احداث الحادي عشر من ايلول، ومجيء جورج بوش الابن استطاعوا تنفيذه، وسوف يتوقف البحث لدراسة دور اعضاء هذا المركز (P.N.A.C) في صناعة قرار الحرب واحتلال العراق .

أولاً/ مراكز البحث الامريكية[١]:-

ان الاستشارة هي عمل كوادر من المتخصصين تشمل مساعدة المسؤولين على صياغة اختيارات سياسية لاتخاذ قرارات معينة والتفكر في اسباب اختياراتهم، واليوم، الوظيفة مؤسساتية بالكامل داخل الحكومة، او في مراكز البحث التي تعمل خارج الحكومة .

تعد مراكز البحث مؤسسات غير ربحية، ومستقلة، وهي معاهد لبحث السياسة العامة للدولة، ويبدو ان تعريف المركز فضفاض، اذ يشمل مجموعة من المنظمات من حيث الموارد والافراد والتخصصات، التي تعمل على تطبيق نموذج من الخبرة باستخدام اساليب العلوم الاجتماعية لدراسة القضايا العامة، لتعطي رؤية سياسية وتعمل على تقديم المشورة للحكومة والمشرعين، وتثقيف الجمهور العام، وفي الأصل، فإن مراكز البحث تشبه الجامعات من دون طلبة، فهي توظف اكاديميين لهم خبرة واسعة، وهذا ما يساعد على تقديم صورة للحياد العلمي باتباع المعايير العلمية والموضوعية، ومع مرور الوقت اصبح العمل فيها اكثر تسيساً، اذ حاول بعض المختصين حاول تسويق افكاره من خلال استراتيجيات معينة[٢] .

من الجلي ان مراكز البحث الامريكية تخلو من الطلبة، كما ذكرنا سابقا باستثناء المتدربين، ويكاد تركيزها يختصر على قضايا السياسة العامة الرئيسة، وتسعى الى جمع الاموال اللازمة لمشاريعهم المختلفة، وتعمل على جلب العلماء لدراسة قضايا السياسة الجديدة، وانها ليست ربحية، على الرغم من انها تمتلك البحوث والافكار والدراسات التي يحاولون بيعها- بمعنى ان مشاريعهم ممولة-[٣]، وانها تمتلك الافكار والخبرات والمعرفة المتخصصة، والرؤية بعيدة المدى التي يفتقر اليها المسؤولين الحكوميين [٤].

اما عن كيفية ظهورها؟ ولماذا انطلقت من الدول الانكلوسكسونية خاصة؟ فالراجح أنها ولدت غالبا بعد الازمات الكبرى التي هزت بلدان الغرب في القرن العشرين، فضلا عن انها تزدهر افضل في ارض الديمقراطية والليبرالية، وهذا لا يعني انها تنعدم في بقية العالم[٥]، انما توجد اكثر في الدول الديمقراطية التي تساعدها الارضية الثقافية التي تساعد على استقلالية البحث .

وعلى الرغم من أن مراكز البحث تكوين جديد انطلق في القرن العشرين إلا أن المستشار الخبير والعمل الفكري في ظل السلطة كان له دوره في الحياة السياسية لأكثر من الفي عام، فقد بدأت الاستشارة السياسية في الغرب مع المعلمين المشهورين الذين كانوا يعلمون الامراء الصغار ويعرفونهم القيادة، والقائمة متنوعة تضم أرسطو الذي عمل مع الاسكندر المقدوني، وسينيكا الذي علم نيرون وتوماس هوبز الذي علم أمير ويلز الصغير الذي أصبح تشارلز الثاني، وقد أستخدم ميكافيللي خبراته في حكومة فلورنسا لكتابة كتب عملت كأدوات عملية لأجيال عديدة من السياسيين المتطلعين اذ يعد كتاب (الامير) اشهر مثال لهذه النوعية من الكتابة وأسوأها سمعة(٦).

إن ميزة مراكز البحث لا تقتصر على ابتكار افكار خلاقة فحسب، ولكن تأثيرها يمتد الى المقررين السياسيين الذين يمكن أن يروا افكارهم مطبقة على ارض الواقع كما انهم يستطيعون الخلاص من الافخاخ التي ينصبها لهم المجتمع، سواءً أكان مجتمع الاتصالات بوسائل اعلامه التي تقدس الفوري والصورة التي تحدث الصدمة او الفاعلين السياسيين المتعطشون للحلول السريعة ومنافسوهم المتزايدون باطراد؟، فمع المجازفة بخسارة روحهم يضحون بالأساس في سبيل قشور الشهرة(٧).

من المعروف ان السياسي يبحث عن الشهرة اما الباحث والمفكر العاكف والمتحرر من طموح خدمة قائد بشكل مباشر، فيفترض به أن يتحدث من دون ان يحتاج الى لوي الحقائق لتبرير الاهداف السياسية او الطموحات الشخصية، وبالنسبة للمفكر او العالم فأن البحث عن الحقيقة شيء جوهري: اما السلطة السياسية فهي عرضية، واذا اراد الخبير او المستشار السياسي ان يكون ذا فائدة ، فينبغي ان يتحدث للسلطة في اطار سياسي وبيروقراطي: ويجب ان يقول حقيقة مفيدة، وينظر الى الحقيقة دائما في ضوء علاقاتها بالسلطة، ورغم سيطرة اصحاب السلطة على بصيرة الاساتذة وجرهم الى المناقشات السياسية، فأن الصفوة السياسية تشمل هؤلاء الذين يخاطبون السياسات بمصطلحات واضحة والذين ينوون استخدام معرفتهم في ساحة السياسة(٨).

وعلى العكس مما ذكر فهناك العديد من الباحثين الذين فضلوا الشهرة على الحقيقة ادعوا لأنفسهم تاريخا ودوراً اكبر واكثر ظهوراً في السياسة الامريكية، مع ان التناقض احيانا، والعداء السافر صاحب علو كعبهم، فالاحتقار العام الدفين للمفكرين والخبراء كان موجودا دائما، في المجتمع الامريكي حتى اكثر الاباء المؤسسين احتراما وتبجيلا نالهم الاذى من معاصريهم [٩].

لقد نشأ الجيل الاول من مراكز البحث في عام ١٩١٠ مع تصاعد اصلاح المرحلة التقدمية وحركة الادارة العلمية، اذ أُسست ودُعمت من التبرعات الخيرية الخاصة، وعملت في مدة يسيرة تحت قيادة الحكومة، وكانت تتلقى ترحيبا في القطاع العام، وغالبا ما كانت تحث الحكومة على الاضطلاع بمسؤوليات اجتماعية جديدة، والجيل الثاني – الذي كان اول من حمل عنوان مستودع الافكار، الذي نشأ في العشرين سنة بعد الحرب العالمية الثانية، عندما سعت الحكومة لطلب الخبرة التقنية المعقدة لمشروع الحرب الباردة للأمن القومي والحرب الداخلية القصيرة الاجل ضد الفقر، وتم تقديم خدماتها للحكومة على اسس تعاقدية، في حين كان الجيل الثالث ، اكثر عددا، واقل ميزانية، تم تأسيسه في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، وكانت مراكز البحث هذه نتاج الصراع الايديولوجي وتشوش السياسة في العشرين سنة الماضية والعديد منها يتجه للنشاط السياسي والدعاية السياسية اكثر من الاتجاه للعلم والمعرفة[١٠].

ثانياً/ قرار الحرب على العراق :-

لقد فاجأ زلزال الحادي عشر من أيلول الولايات المتحدة في زمن كانت الطبقة السياسية منقسمة الرأي حول الدور الدولي الذي ينبغي لأميركا أن تؤديه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وحيال تهديدات غير تقليدية تمثلها بعض الدول المارقة–مثلما ترغب بتسميتها–، فأجرت حروباً على وفق منطق الحرب غير المتكافئة بين مجتمعات خاضعة لعمليات تراجع تاريخي، ومجتمعات تملي خياراتها الفلسفية والسياسية على المسار المستقبلي للوجود البشري، فالفعل هو عسكري وحربي، فيما المشكلات التي تكمن وراء الفعل هي ذاتها جوهرية وفلسفية

وروحية، وعلى هذا المسألة اذن هي حرب بين دولة داخل التاريخ تعيش كل تقدمه وتشهد تطوراته التقنية وتُسهم به، ودولة خارج التاريخ بعيدة عن كل ما هو تقني حديث، ومحاصرة اقتصادياً من الدولة التي شنت الحرب وسياسياً من حاكميها، اذ لا يوجد اي فعل سياسي لغير المنتمين لسياساتهم في حينها .

ان قصة الاحتلال تبدأ بعد احداث سبتمبر والانهيار السريع لطالبان والقاعدة في افغانستان، بحيث ادركت ادارة بوش ان على صدام الرحيل، فهو بشكل عام وحسب قناعات الادارة الاميركية كان في طريقه لإنتاج اسلحة الدمار الشامل، وكانت قناعات الولايات المتحدة انها القوة الوحيدة القادرة والميالة لتغيير الحكم في العراق، وان ازالة صدام يمكن وضعها كذلك في اطار حركة تغيير بقية الانظمة في عموم المنطقة وانه سيكون البداية[١١]، فجاءت الحرب على العراق استكمالا لمطاردة الشبكة متعددة الاشكال للإرهاب .

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في شهر آذار مارس من عام ٢٠٠٣بمشروع أكثر طموحا للإطاحة بنظام البعث وتحويل العراق الى دولة ديمقراطية فاعلة– مثلما ادعت–، بعد ان اعطت ثلاثة أسباب لاحتلاله وهي منطبقة الى حد ما مع ما جرى ذكره بخصوص العراق وتغيير نظامه السياسي وحددتها بالأمور الآتية :–

أ- امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل .
ب- وجود علاقة بين نظام صدام حسين وتنظيم القاعدة .
ت- إسقاط النظام القائم واستبداله بنظام ديمقراطي .

ولعل ابرز الحجج التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية على احتلال العراق هي الأمر الأول المتمثل بـ (امتلاك نظام صدام لأسلحة الدمار الشامل)، ويبدو ان الاحتلال الأمريكي للعراق كان غايته إقامة دولة ديمقراطية، وكذلك التخلص من نظام صدام وأسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها حسب ما أشارت الى ذلك التقارير الواردة من الادارة الامريكية، وكل هذه العملية كانت لحماية أمنها القومي من الاعتداءات الخارجية التي تسببها الأنظمة الضعيفة

التي ربما يكون لها اتصال مع الإرهابيين، والتي تعمل على توفير ملاذ امن لهم، ولم يكن تدخلها من اجل حماية حقوق الإنسان، وحماية الشعب وما تعرض له على يد نظام صدام .

ثالثا / مراكز البحث وصناعة قرار الحرب على العراق:-

بنيوياً، تتوزع أعباء السياسة الخارجية الامريكية بشكل رئيس على اربعة مواقع رسمية، الرئيس وهو عقدة القرار، وزارة الخارجية وهي مؤسسة العلاقات والجناح التنفيذي، مجلس الامن القومي وهو مركز التخطيط الاستراتيجي والمشرف على المؤسسات الامنية والاستخباراتية، ووزارة الدفاع التي تملك القرار فيما يخص الانتشار العسكري العالمي، وهناك جانب غير رسمي أخذ دورا فاعلا في التخطيط للسياسة الخارجية وبالتالي أسهم في اتخاذ القرار ألا وهو مراكز البحث والدراسات – المستشارون- التي تمثل قوى الضغط ومجموعات المصالح واتجاهات التفكير وتمارس دورها وتأثيرها من خلال الافكار التي تطرحها وتعرضها للرأي العام والدبلوماسيين ومختلف الجهات المعنية بالقرار ويزيد في تأثيرها المنهجيات العلمية التي تعتمدها والرجالات الذين يسيرونها، ويكونون عادة من الدبلوماسيين او الضباط الكبار المتقاعدين الى جانب الاكاديميين والمتخصصين [١٢].

أ- مركز المشروع الاميركي لقرن جديد(المحافظون الجدد) [١٣] وصناعة قرار الحرب على العراق:-

ليس مستبعداً ان يكون بوش ونائبه قد عمدا الى استشارة المحافظين الجدد في مسألة الحرب على العراق لاسيما ما يتعلق باستخدام القوة وفي جميع الاحوال تحولت استراتيجية الحرب على الارهاب الى محك حقيقي لأفكار المحافظين الجدد الذين هم او اغلبهم اعضاء مركز المشروع الاميركي لقرن جديدProject For New American Century[١٤]، ففي رسالة الى الرئيس كلنتون سنة ١٩٩٨ رسم هذا المركز مخطط السيطرة الاميركية على العالم التي نصبت نفسها محامي التغيير الجذري ازاء منظمة الامم المتحدة، وقلب نظام صدام أذ جاء في ذلك مقتطفات من نص مشروعه((قدرتنا على التأكد من أن صدام حسين لا يقوم بإنتاج اسلحة الدمار الشامل قد ضعفت بشكل جوهري))، ((لا يمكن للسياسة أن تستمر

مهجوسه بإصرار اخرق على السعي الى الاجماع في الامم المتحدة))، والاصرار على ((أن امن الجيوش الاميركية في المنطقة وامن الاصدقاء والحلفاء كإسرائيل والدول العربية المعتدلة وجزء مهم من احتياطي النفط العالمي ستكون معرضة للخطر)) الخلاصة ((الاستراتيجية الوحيدة المقبولة هي التي تؤدي الى ازالة امكانية ان يمتلك العراق اسلحة دمار شامل او يهدد باستعمالها، هذا يحتم على المدى القصير أن نكون قادرين على القيام بعمليات عسكرية طالما ان الدبلوماسية قد فشلت على ما يبدو وعلى المدى البعيد ذلك يعني اسقاط صدام حسين ونظامه هذا ما يجب أن يصبح الان هدف السياسة الخارجية الاميركية))[١٥].

فالهجوم على العراق من التحالف بقيادة الولايات المتحدة هو ثمرة المخاض لبعض الرؤوس المفكرة الناشطة بشكل مميز والمثابرة التي تمتلك شبكات شخصية لهؤلاء المحافظين الجدد الذين يتميزون عن المحافظين التقليديين بمقاربتهم القائمة على التدخل في السياسة الخارجية[١٦].

وفي حزيران ٢٠٠٢ حدد الرئيس بوش الاستراتيجية الوطنية الجديدة مؤكدا حق بلده في استعمال القوة بشكل وقائي ضد دول أو مجموعات ارهابية، وفي خطاب سابق للحرب على العراق يؤكد بوش في ٢٠٠٣ مخاطباً المحافظين الجدد أنكم تبلون حسنا لدرجة أن ادارتي استعارت عشرين من رؤوسكم المفكرة، ولهذا سوف يصبح بإمكانهم تحقيق تصورهم بأنفسهم[١٧]. هذا التصور للعالم الذي اعتبر كبداية ثمرة تخيل لبعض الافراد المنعزلين انتهى الى ان يحدد البرنامج السياسي الوطني ثم الدولي، وأن يقنع غالبية الرأي العام الاميركي وأن يغير مجرى التاريخ، فتم تقديم تصور للعالم متمثل بأن القوة هي الحق وحيث تعتبر الامم المتحدة عائقاً امام القوة الاميركية الكاسحة ((حتى لو كانت الولايات المتحدة تسعى باستمرار لتأييد المجتمع الدولي فأننا لن نتردد في العمل وحدنا اذا كان ذلك ضروريا لنمارس حقنا في الدفاع عن الذات بطريقة وقائية))[١٨].

يبدو أن أزمة الحرب ضد العراق بدأت من الداخل الأميركي، في مسألة الانسجام بين الجمهور والسلطة، وفي قدرة الأخير على الإقناع والتوجيه، وكذلك على المستوى الخارجي اذ

شكلت تداعيات الحرب على العراق موجات من الردود الشعبية المدعومة بالكراهية لأميركا حتى أصبح لموضوع العداء لأمريكا خانة في مراكز الدراسات الأمريكية[١٩] .

ب- الفكر الفلسفي لـ اعضاء مركز P.N.A.C للمحافظين الجدد:-

ثمة علاقة بين أقطاب المحافظين الجدد وأفكار الفيلسوف اليهودي الألماني الأصل ليو شتراوسLeo Strauss[٢٠]، وهي علاقة تربط تلك الأفكار بالمشروع الأمريكي لعالم أحادي القطبية، اذ تتلمذ على يد شتراوس جملة من أقطاب هذا التيار منهم هارفي مانسفيلد Harvey Mansfield[٢١] وجوزيف كروبسيJoseph Cropsey[٢٢] ولاحقاً تتلمذ على يد مانسفيلد كل من فرنسيس فوكوياما[٢٣]Francis Fukuyama- فضلاً عن تتلمذه على يد الان بلوم(Allan bloom[٢٤] الذي هو من تلاميذ شتراوس- ووليم كريستولWilliam Kristol[٢٥] فيما تتلمذ بول وولفتزPaul Wolfowitz[٢٦] على يد جوزيف كروبسي[٢٧].

وفي بداية القرن الحادي والعشرين وبصفة خاصة لحظة اقتراب الحرب على العراق ٢٠٠٣ اصبحت تطلق على الشخصيات المرتبطة بشتراوس وادارة بوش تسمية المحافظين الجدد او الشتراوسيين، لكن اين ومتى نشأت تسمية (الشتراوسيين)؟ الاجابة عن هذا السؤال غير مؤكدة ويبدو أنها قد وجدها معارضو شتراوس وطبقوها على الافراد الذين تتلمذوا على يديه وتأثروا به، ومن الواضح ان التسمية قد قُبلت من لدن الكثير، والتسمية اصلاً اطلقت على مجموعة من الاكاديميين[٢٨]، ويمكن القول ان الشتراوسية او الشتراوسيين نسبة الى فلسفة ليو شتراوس في المقام الاول وكذلك تطلق على مجموعة الطلبة الذين اتخذوا هذا الاسم نسبة لتلمذتهم على يد شتراوس ويعرف عنهم بأنهم مرتبطون بالسياسة، واثروا في طبيعة الحكم في الولايات المتحدة الامريكية[٢٩] .

وليس من قبيل المبالغة القول أن تأثير شتراوس في المجتمع الاكاديمي في اميركا الشمالية هو ظاهرة وأنه مؤسس حركة ومدرسة للفكر فله اتباع في كندا والولايات المتحدة الامريكية، ويعرفون بالشتراوسيين ويشغلون وظائف عالية في الجامعات [٣٠]، والذين اعتنقوا افكار شتراوس كانت اراؤهم معبرة عن مبادئ معينة وهي اقرارهم بالعادات والتقاليد واعتبار ان

الثروة والسلطة تجلبان الاحترام، وقد قاوموا التغيير وحطموا المبادئ المجردة والنظريات الكبرى والمشاريع اليوتوبية[٣١] .

لقد اختلف تلامذة ليو شتراوس عن المدارس الاخرى بأنهم حاولوا تقديم نماذج تفسيرية في العلوم السياسية معتمدةً على الفلسفة السياسية وجذورها[٣٢]، فلقد عُرف عن شتراوس وما علمه لطلابه أنه قارئ من طراز عالٍTower Reader، والمفكر الذي اعاد اكتشاف الكتابة الباطنية Esoteric Writingاوما يعبر عنه بقراءة ما بين الاسطر، محاولاً توظيف الفلسفة السياسية الكلاسيكية لنقد الحداثة، وكذلك دراسته العلاقة بين الدين والفلسفة او كما عبر عنه بالعلاقة بين القدس واثينا[٣٣]، وما عُرف عن شتراوس انه علم طلابه شيئين مرتبطين معاً، الاول ان تكون دراستهم متأنية جداً، والمسألة الثانية انتزاع الاسرار المخفية الواردة في الكتب، وكذلك عدم كشف الحقائق للجميع[٣٤].

ج –قرار الحرب على العراق بوصفه صناعة لـ خطاب مزدوج(الكذب النبيل):-

بالتأكيد أن شتراوس لم يُسهم في صنع القرار السياسي في واشنطن بشكل مباشر، انما الجيل الثالث من طلبته هم الذين اسهموا بذلك، سواءً أ كان بصورة مباشرة تنظيرا ام ممارسة ولاسيما في حقبة جورج دبليو بوش[٣٥]، التي مارست الخطاب المزدوج بشكل مكثف فما يبدو هراء للأغلبية من الشعب يمثل معاني وقيماً اساسية لأولئك المنخرطين في طريقة تفكير تعتمد على ايديولوجيا محددة، وتكون مرتكزاً لمواقفهم، ولابد من الانتباه الى كاتبي خطابات بوش الذين هم من اتباع شتراوس الذين اعتادوا ان لا يكتبوا بالإنكليزية الواضحة فالكتابة الملتوية الغامضة والمتناقضات طبيعة لأسلوبهم في التعبير، وهكذا تداخلت الذاتية مع الموضوعية في تشكيل احد مبادئ عمل المحافظين الجدد الذين اتبعوا اسلوب العمل من وراء الكواليس كمستشارين او اكاديميين واعلاميين مشكلين قوة ضغط فاعلة[٣٦] .

لقد وجه نقد لاذع ولا يحصى للرئيس بوش ومستشاريه من المحافظين الجدد، تمثل بغضب الشعب على الاكاذيب التي صنعتها ادارته عن اسلحة الدمار الشامل والعلاقة بين تنظيم القاعدة وصدام ومع ذلك فأن الشتراوسيين قد قاموا بعملية الكذب بغزارة وخداع واضح

وما يُعاب عليهم انهم ليسوا سياسيين يعملون تحت ضغط الاحداث بل هم علماء واساتذة جامعات وصحفيون ومن المفترض ان يمتلكوا نموذجا للصرامة العلمية[٣٧] .

وأمام هذه الاختلافات في الموقف سواء أ كان على مستوى المفكرين ام على المستوى الشعبي بقيت الإدارة الأميركية وحليفتها الإدارة البريطانية متمسكتان بمسألة امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، وضرورة الحرب عليه، ومن الواضح كذلك إن الإدارتين لم تكونا لتخطئا جهلا– في عدم امتلاك العراق أسلحة دمار شامل–، وانما كانت مجرد حيلة خطابية القصد منها إقناع الرأي العام في بلديهما وحكومات الغرب المتحالفة معهما على الانقياد لهما والاصطفاف الى جانبهما، اذ كان بول وولفوفيتز، وخلال مقابلة له مع إحدى الصحف في شهر ايار ٢٠٠٣، قد كشف عن المنطق الذي أتاح وضع أسلحة الدمار الشامل العراقية غير المحتملة في صميم خطاب التعبئة للحرب وفي تعليل رأي بعضهم إن في هذا الأمر أثراً للميكافيلية مستوحاة من فكر ليو شتراوس، الذي كان يسمح لفيلسوف الملك أن يكذب على الشعب إذا رأى في ذلك خيراً له – أي للشعب – [٣٨] .

واستناداً الى المنطق الذي حرص ليو شتراوس على قراءة كتبه بعناية ونصح تلامذته بذلك فان ((الجمهور المنحط لا يتحمل لا الحقيقة ولا الحرية، وان تقديم هذه الكنوز الرفيعة هو كمثل رمي اللآلئ للخنازير))، بناءً عليه يؤمن اتباع شتراوس أن المجتمع يحتاج نخبة من الفلاسفة والمفكرين ينتجون الكذب النبيل للاستهلاك الجماهيري [٣٩]، وهذا مقارب لرأي ابن ميمون في مقدمة كتابه (دلالة الحائرين) الذي يحتوي عن قصد على تناقضات خفية، وهو يقول في مقدمته((عندما نتحدث عن مسائل غامضة، لابد أن نخفي بعض الاجزاء ونكشف اجزاءً اخرى.... ويتطلب ذلك بالضرورة ان تسير المناقشة على اساس مقدمة معينة في حين ان الضرورة تتطلب في مكان اخر ان تسير المناقشة على اساس مقدمة اخرى تناقض المقدمة الاولى... ومن ثم يستخدم المؤلف حيلة ما لكي يخفيها تماماً))[٤٠] .

وعن أحد الباحثين فأن المشكلة مع اتباع شتراوس هي التزامهم بالكذب،فشتراوس كان غارقا في الباطنية لأنه كان مقتنعا بأن الحقيقة قاسية ولا يتحملها المجتمع، وبأن حاملي الحقيقة مضطهدون من المجتمع، لاسيما المجتمع الليبرالي، لأن الديمقراطية الليبرالية، بحسب

شتراوس، تبعد الفرد عن الاحتكاك بالحقائق [٤١]، وان الحقائق ليست موجهة للجماهير بل هي خطرة جدا على المجتمع وعلى الفيلسوف ذاته، وحقيقة الامر تكمن في أنه لا توجد حقيقة اخلاقية مستقلة عن مؤسسات القوة [٤٢].

ولعل سمة الكذب التي طالب شتراوس تلامذته تتميز برفض سيطرة المدرسة السلوكية على العلوم السياسية في اميركا لأنها تنادي بسيطرة الحياد والموضوعية على المعرفة السياسية اذ رأى ان هناك صوابا وخطأ وحقيقة وباطلا وأن وظيفة المعرفة تكون في التفرقة بين القطبين السابقين واكتشاف الشر ومحاربته فلو وقف المفكر السياسي موقف الحياد تجاه الظواهر لما تمكن الغرب من مكافحة النازية[٤٣] .

الخاتمة:

١- ان فعل الحرب بحاجة الى تبرير، وهنا يبرز الدور الذي أداه المستشارون–صُناع القرار– في بلورة خطاب يُسهم في اسناد السياسة الخارجية وبالوقت نفسه ينتج خطاباً للاستهلاك الجماهيري من اجل مساندة الحرب وتأييدها .

٢- بعد احداث الحادي عشر من ايلول برز مجموعة من الباحثين –الشتراوسيين او المحافظين الجدد– وجدوا الفرصة لتحقيق افكارهم خصوصاً مشروعهم الذي من ضمنه الاطاحة بالدكتاتورية العربية المتجسدة بنظام صدام، لهذا استعان بهم الرئيس بوش واعتمدهم كمستشارين، وبنظرة ثاقبة الى صنع قرار الحرب فأن المتتبع لهذا القرار يجد انه لم يكن من صنع الرئيس او وزارة الخارجية، أو وزارة الدفاع، ومجلس الامن القومي فحسب، بل كذلك من صنع اولئك الباحثين الشتراوسيين او المحافظين الجدد، ولعل هذا ما تمتاز به الحكومات السياسية الغربية التي تمتلك قبول المشورة .

٣- لعل ابرز ما يميز قرار الحرب على العراق اعتماده على خطاب ادوات الخداع، وهذا واضح لمن يعتمد التحليل على وفق مرتكزات فلسفية، فالذي يبحث عن ارشفة للخطاب من منظور مغاير لما هو سائد من تبسيط، سيجد ان مسألة استخدام اسلحة الدمار الشامل لا يمتلكها العراق وهم يعرفون ذلك واكدوه بعد احتلال العراق، لكن خداع الجمهور يتطلب

توظيف مثل هكذا معلومات، وذلك لأن المحافظين الجدد الذين انتجوا الخطاب السياسي لجورج بوش الابن قد اعتمدوا على اراء الفيلسوف ليو شتراوس – المجهول عربياً الا من خلال الكتاب الذي حرره مع كروبسي وهو تاريخ الفلسفة السياسية – الذي يبيح لفيلسوف الملك ان يكذب، ولأن الحقائق لا يستطيع الجمهور تحملها، لهذا يفترض اخفاؤها، وانتاج اخرى .

الهوامش:

١- من ابرز مراكز البحث في الولايات المتحدة الاميركية :-

معهد المشروع الاميركي لبحوث السياسة العامة، كارنيجي للسلام الدولي، معهد كاتو.، مركز اولويات الميزانية والسياسة، مركز معلومات الدفاع، مركز السياسة القومية، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، لجنة التنمية الاقتصادية، معهد السياسة الاقتصادية، مركز السياسات العامة والاخلاق، مؤسسة التراث (هرتياج)، مؤسسة هوفر للسلام- الثورة- الحرب، معهد الدراسات المعاصرة، معهد الاقتصاديات الدولية، معهد الدراسات السياسية، المركز المشترك للبحوث السياسية والاقتصادية، معهد ماتهامن للبحوث السياسية، مجلس التنمية لماوراء البحار، معهد السياسة التقدمية، مؤسسة راند، موارد المستقبل، معهد ركفورد، مؤسسة روسل ماج، صندوق القرن العشرين .

2- Kurian ,George Thomas& James E. Alt, Simone Chambers&others THE ENCYCLOPEDIA OF POLITICAL SCIENCE, Congressional Quarterly press, Washington,1-5,2011, p.1659.

3- Wiarda , Howard J., Think Tanks and Foreign Policy The Foreign Policy Research Institute and Presidential Politics Published by Lexington Books,U K 2010, p.30.

4- Ibid, p.31.

٥- بوشيه، ستيفن، و ريو، مارتين، مراكز الفكر ادمغة حروب الافكار، دار الفارابي، ط اولى،٢٠٠٩،، ص١٦.

٦-ينظر: سميث، جيمس الان، سماسرة الافكار، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط اولى،١٩٩٤، ص١٥-١٦ .

٧- بوشيه، ستيفن ،مارتين رويو، مراكز الفكر ادمغة حرب الافكار،ص١٧.

٨- سميث، جيمس الان، سماسرة الافكار، ١٩٩٤، ص١٨-١٩.

٩-المصدر نفسه، ص٣٥.

١٠-المصدر نفسه، ص١٥.

١١-ينظر :كارل براونو بلاط الحلم بالإمبراطورية، هل العراق فشل نبيل؟ في كتاب بوش في اور، ترجمة وتحرير امير دوشي، مركز اور للدراسات، العراق ط اولى ٢٠٠٧، ص٩٥-٩٦.

١٢-ينظر: قبيسي،هادي، السياسة الخارجية الاميركية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط اولى،٢٠٠٨، ص١١-١٢ .

١٣- ان اغلب اعضاء هذا المركز هم من المحافظين الجدد، وإن أول من استعمل هذا التعبير هو المفكر الأميركي مايكل هارنغتون **Michael Harrington** الذي كان مفكراً يسارياً، وزعيما للاشتراكيين الديمقراطيين في الولايات المتحدة لسنوات طويلة حتى وفاته في عام ١٩٨٩، وسريعاً ما تبنى احد ابرز كتاب اليمين الأمريكي، وهو ايرفنغ كريستول **Irving Kristol** هذا المصطلح واصفاً نفسه بأنه محافظ جديد، وقد حمل المحافظون الجدد رؤية نقدية لحقبتي بوش الأب وكلينتون، اذ يرى المنتمون لهذا التيار إن المرحلة من عام ١٩٩١ الى ٢٠٠١ كانت مرحلة فقدان أمريكا لرؤيتها ولموقعها وذلك نتيجة عدم إدراك الفرص والمخاطر الحقيقية المتوقعة التي افرزها انهيار الاتحاد السوفيتي، وثمة علاقة بين أقطاب المحافظين الجدد وأفكار الفيلسوف اليهودي الألماني الأصل ليو شتراوس Leo Strauss وهي علاقة تربط تلك الأفكار بالمشروع الأمريكي لعالم أحادي القطبية، وقد تتلمذ على يد شتراوس جملة من أقطاب هذا التيار منهم هارفي مانسفيلد وجوزيف وكروبسي ولاحقاً تتلمذ على يد مانسفيلد كل من فوكوياما ووليم كريستول فيما تتلمذ بول وولفتز وأبراهام شولسكي على يد جوزيف كروبسي.

ينظر:- كرم، سمير، ليو شتراوس واليمين الأمريكي، مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد٢٩٥، أيلول ٢٠٠٣، ص١٧٤. وكذلك ينظر:- قبيسي، هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط أولى، ٢٠٠٨، ص١٧ .

١٤-ينظر: مورافيشك، جوشوا ، المحافظون الجدد الماضي والحاضر والمستقبل، ترجمة شاهر عبيد، مجلة الثقافة العالمية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،العدد١٦١، يوليو ٢٠١١،ص٨٥ .

١٥- بوشيه، ستيفن، و ريو، مارتين، مراكز الفكر ادمغة حروب الافكار، ص٢٤-٢٥ .

١٦- ينظر:المصدر نفسه، ص٢١.

١٧- مع وصول جورج بوش الابن الى الرئاسة في ٢٠ / ١/ ٢٠٠١، حتى ضم واضعي تقرير ال P.N.A.C. والمحافظين الجدد، وسوف يصبح بإمكانهم تحقيق تصورهم بأنفسهم، فأصبح ديك تشيني نائبا للرئيس مع لويس ليبي الى جانبه، رودمان مسؤول قضايا الامن الدولي، جون بولتون سكرتير دولة للرقابة على السلاح، ارميتاج وزير مساعد للشؤون الخارجية، بيرل رئيس المجلس السياسي للدفاع في البنتاغون وهو صاحب نظرية الفوضى الخلاقة، وليم كريستول ابن اب النهج المحافظ الجديد ارفيغ كريستول بقي على رأس P.N.A.C. ولكنه يقدم الاستشارات للرئيس، زلماي خليل زاد اصبح لاحقا سفيرا للعراق ومستشار دونالد رامسفيلد – وزير الدفاع- بول ولفوتيز نائب وزير الدفاع وهو احد المهندسين للرئيس بوش للسياسة الخارجية بعدها سيعين على رأس البنك الدولي ٢٠٠٥، بالإجمال انظم الى ادارة بوش ما لا يقل عن ستة عشر من المساهمين المباشرين في الـ P.N.A.C. ، فضلا عن فوكوياما عين رئيس المجلس الاعلى للأخلاقيات البايلوجية .

بوشيه، ستيفن، و ريو، مارتين، مراكز الفكر ادمغة حروب الافكار، ص٢٧.

١٨- المصدر نفسه، ص٢٩.

١٩- ينظر: قبيسي ، هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية ، ص١٣٢ .

٢٠- ليو شتراوس ولد في ألمانيا في عام ١٨٩٩ وفي عام ١٩٣٢ استقر في الولايات المتحدة الأمريكية ولقد كان شتراوس مفكرا يمينيا بكل المقاييس، في نظرته لمفهوم السلطة ومفاهيم الحرية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية وحتى في نظرته لمسألة حقوق المرأة، وكان مناصرا لفكرة (الفيلسوف- الملك)، أي الحاكم المطلق شرط أن يكون فيلسوفاً أي مفكراً عميقاً وموسوعياً وما عدا ذلك لا أهمية له، ومن ابرز الفلاسفة الذين تأثر بهم مارتن هايدغر وتأثر بفكر نيتشه والفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون((١- شتراوس، ليو، وكروبسي، جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، ج الثاني، ترجمة محمود سيد احمد، المجلس الاعلى للثقافة، عدد ٨١٠، القاهرة، ط اولى، ٢٠٠٥، ص٦١١. ٢- كرم، سمير، ليو شتراوس واليمين الأمريكي، ص١٧٥ .)) .

٢١-هارفي مانسفيلد استاذ علوم سياسية بارز في اكبر الجامعات الاميركية واعرقها على الاطلاق، الا وهي جامعة هارفرد، اذ اشتهر كأستاذ للفلسفة السياسية الكلاسيكية وبتعمقه في فهم وتحليل افكار فلاسفة كبار مثل ميكافيللي وجون لوك ودي توكفيل .
بيومي، علاء، فكر اليمين الامريكي، هارفي مانسفيلد انموذجا، مجلة المستقبل العربي،عدد٣٤٩، اذار، ٢٠٠٨، ص٥٧.

٢٢-استاذ الفلسفة السياسية في جامعة شيكاغو، وشارك ليو شتراوس في الاشراف على تحرير كتاب تاريخ الفلسفة السياسية .

٢٣- في مسألة الحرب الاميركية على العراق فوكوياما يختلف عن المحافظين الجدد فهو يقول ((وخلافاً لآخرين عديدين من المحافظين الجدد لم أكن قط مقتنعاً بالأساس المنطقي لحرب العراق و بدأت صقري الموقف نوعاً ما بشأن العراق، و في عام ١٩٩٨ وقعت رسالة رعاها المشروع من اجل قرن أمريكي جديد تحث إدارة كلينتون على أن تتخذ خطاً اصلب ضد بغداد بعد أن أعاق صدام حسين مفتشي الأمم المتحدة عن الأسلحة، ومع ذلك لم يكن الغزو الأمريكي للعراق آنذاك مطروحاً على وجه اليقين ولن يكون محتملاً حتى جاءت حوادث الحادي عشر من ايلول،)). فوكوياما، فرنسيس، أمريكا على مفترق طرق، ترجمة محمد محمود توبه، العبيكان، السعودية، ط أولى، ٢٠٠٧، ص٩-١٠.

٢٤-الان بلوم هو صاحب كتاب (انغلاق العقل الأمريكي)، وكان له اثر كبير في نقل فكر كوجيف إلى أمريكا عن طريق ترجمته لكتاب كوجيف مدخل لقراءة هيجل لاسيما إن بلوم قد تتلمذ على يد كوجيف من سنة ١٩٥٣-١٩٦٨، وبالرغم من إن كوجيف لم يكن أكاديميا إلا أن بلوم كان يذهب إليه الى مكتبه الموجود في وزارة الاقتصاد الفرنسية ((دروري، شاديا، خفايا مابعد الحداثة ودور الكسندر كوجيف فيها، ترجمة موسى الحالول، دار الحوار،اللاذقية،ط أولى، ٢٠٠٦. ص١٨٧ .)).

٢٥- وليم كريستول ابن اب النهج المحافظ الجديد ارفيغ كريستول بقي على رأس .P.N.A.C ولكنه يقدم الاستشارات للرئيس .

٢٦- وهو احد أقطاب تيار المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، اعد أطروحة الدكتوراه بإشراف شتراوس وشغل منصب نائب وزير الدفاع وكذلك شغل منصب رئيس البنك الدولي.
(سلوم، سعد، إمبراطورية العصر في نقد العقل السياسي الأمريكي، مجلة مسارات، العراق، العدد الثالث، سنة أولى، ٢٠٠٥، ص١٤).

٢٧- ينظر: قبيسي ، هادي ، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية، ص١٧ .

٢٨- ينظر: Smith, B. Steven, The Cambridge companion to Leo Strauss,Combridge University press,First published,2009,p.263.

٢٩- ينظر: Norton, Anne, Leo Strauss and the Politics of American Empire, Yale University press, Newhaven&London,2004,p.2.

٣٠- ينظر: Drury, Shadia B., The Political Ideas Leo Strauss, Plagrve, updated Edition,2005,USA,p.1.

٣١- ينظر: Norton, Anne, Leo Strauss and the Politics of AmericanEmpire,p.162.

٣٢- ينظر: Catherine&Zuckert, Midael, The Truth about Leo Strauss(Political Philosophy and American Domocracy),Chicago Univerity pres,2006,p. 201.

٣٣- ينظر: Minowitz, Peter, Straussphobia Defending Leo Strauss and Straussians against Shadia Drury and Other Accusers, Lexncton Books, New York, 2009,p.2 .

٣٤- ينظر: Drury, Shadia B., The Political Ideas Leo Strauss,p.3.

٣٥- ينظر: Catherine&Zuckert, Midael, The Truth about Leo Strauss,p.197.

٣٦- ينظر :كيبيل، جيل ، الفتنة حروب في ديار المسلمين، ص٢٠.

٣٧- ينظر: Minowitz, Peter, Straussphobia Defending Leo Strauss and Straussians against Shadia Drury and Other Accusers,p.6.

٣٨- ينظر :كيبيل، جيل ، الفتنة حروب في ديار المسلمين، ص٢٤٦.

٣٩- ينظر: قبيسي، هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية، ص١٧، ص١٩ .

٤٠- شتراوس، ليو، تاريخ الفلسفة السياسية، ج الثاني، ص٦٢٢.

٤١- قبيسي، هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية ، ص١٩-٢٠.

٤٢- دروري، شادية، خفايا مابعد الحداثة ودور الكسندر كوجيف فيها، ترجمة موسى الحالول، دار الحوار، اللاذقية، ط أولى، ٢٠٠٦،ص١٧٢.

٤٣- بيومي، علاء، فكر اليمين الامريكي، هارفي مانسفيلد انموذجا، مجلة المستقبل العربي، عدد ٣٤٩، اذار ٢٠٠٨، ص٦٠ .